

الدرس الأول تاريخ التشريع الإسلامي

سندرس التشريع الإسلامي منذ فجر ظهوره إلى زماننا اليوم وكيف وصل إلينا وسنلقي الضوء على المذاهب وسبب نشأتها ووجه الحاجة إليها وإلى أن يتبع المسلم مذهب من هذه المذاهب.

إن أهم مصدرين من مصادر الشريعة الإسلامية (عبادات ومعاملات) هما كتاب الله وسنة رسوله، وبتدقيق النظر نجد أنه مصدر واحد هو كتاب الله. ذلك أن الذي جعل السنة مصدر ثان هو كتاب الله فقد أمرنا بإتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن نعتمد على ما يزيده في قوله وعمله على ما **تضح** كتاب الله فطاعتنا لله عز وجل تقتضي طاعتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

{ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا }، { ومن يطع الرسول فقد أطاع الله }، { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم }.

المصدر الأول (كيف نزل القرآن وكيف وصل إلينا):

القرآن لم ينزل دفعة واحدة بل نزل على مكث { وقرآناً فرقناه لتقرأه للناس على مكث } والمدة التي استوعبت نزول القرآن ثلاث وعشرون سنة من أول عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بالوحي إلى وفاته صلى الله عليه وسلم.

أما من يقول عشرون سنة فالخلاف لفظي **لأنصح** **ذنو** المدة التي انقطع فيها الوحي بعد أول مرة (وهو رأي) ويقولون المدة 3 أشهر 6 أشهر 3 سنوات مختلف فيها أما الحكمة من نزوله متفرقاً فارجع إلى روائع القرآن - 33 - والملاحظ أن القرآن كان يكتب رغم نزوله متفرقاً فما من آية تنزل إلا ويدعو الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أو ثلة من الذين يكتبون الوحي منهم،

اختارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لكتابة الوحي، فيأمرهم بكتابة ما نزل عليه ويأمرهم بوضعه هذا الذي كتوبه في المكان الذي أمر الله به أن يوضع حسب الترتيب الذي نجد عليه القرآن اليوم فقد كان يكتب آية آية مقطع فمقطع ولم يكن الترتيب حسب ترتيب النزول بل إن جبريل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يأمرك أن تضع هذه الآية على رأس كذا من سورة كذا وعندما نزلت آخر آية قال جبريل ضع هذه الآية على رأس مائتين و 81 من سورة البقرة ووضعت في ذلك المكان ولم يكن يوجد فراغ إلا في هذا المقطع وبذلك تكامل القرآن وبعد ذلك بتسع ليال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى أحمد عن عثمان بن العاص قال: كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شخص ببصره نحو السماء ثم صوبه قال: [أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة } إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى {] وكذلك بالنسبة لترتيب السور والبسمة.

سأل ربيعة فقال لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلها بضع وثمانون سورة فقال: [قد قدمت وألف القرآن على علم ممن ألفه].

المصدر الثاني:

من المتفق عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم منع أصحابه مدة من الزمن في صدر الإسلام من كتابة غير القرآن ثم بعد ذلك أمر بالكتابة.

فقد صح عنه [لا تكتبوا عني غير القرآن ومن كتبه فليمحوه] فالتزم الصحابة بذلك فكانوا إذا سمعوا القرآن كتبوه وحفظوه وإذا سمعوا الحديث وعوه وحفظوه.

ثم سمح بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتابة فقد صح عنه أن بعض الصحابة نحو عن الكتابة وقالوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر وهو ينطق عند الغضب والمرض فلا نكتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلا القرآن وكان هذا عبد الله ابن عمر رضي الله عنه فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال له أن فلان قال ذلك فقال: [فوالله لا يخرج منه) وأشار إلى فمه) إلا حق] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لم أحد من الصحابة أكثر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني إلا ما كان من شأن عبد الله بن عمر كان يكتب ولم أكن أكتب .

إذاً الذي تم عليه الأمر أن القسم الأول وهو قليل لم يكتب فيه الحديث والقسم الآخر وهو الأكبر كان يكتب فيه الحديث .

● الحكمة من هذا هو خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم في بادئ الأمر أن يختلط أسلوب القرآن بأسلوب الحديث لكونهم لم يتعرفوا بعد على الأسلوبين .

● هناك فرق بين الكتابة والتدوين فالتدوين فهو الجمع بين **دفتين** لم يكن موجود على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أم الكتابة فكانت موجودة، وأول من دون أبو بكر بن حزم .

● من الأمور التي كان لها نتائج في وقوع الخلاف في أحكام الشريعة الإسلامية أنه كل من يستطيع الكتابة من الصحابة كان يكتب القرآن بينما لم يكونوا كلهم يكتبون الحديث .

● بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوجد تفاوت في رواية الحديث بين مقل ومكثر وكاتب وغير كاتب وكثير في الكتابة وغير مكثر، بينما كانوا جميعاً قد كتبوا القرآن بل والأكثر منهم حفظه غيباً .

• في زمن رسول عليه الصلاة والسلام لم يقع خلافاً في الأحكام وما كان هذا ليحدث أما بعد وفاته فقد حصل خلاف في بعض في كل أحكام وأمور الشريعة والعوامل لهذا الخلاف هي:

السبب الرئيس:

إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا كما قلنا على تفاوت في ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الملازم له والمجالس له مجالسة شبه تامة ممن تركوا الدنيا ليجالسوه عليه الصلاة والسلام ومنهم من اشتغل بالتجارة والزراعة ... فجالسه طرقي النهار ومنهم معتدل وبالتالي فهم على درجات في جفط الحديث للسبب السابق وبالتالي فإن بعض الصحابة ممن لم يتسنى لهم الملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعوا كل أحاديثه فتعرض عليهم قضية ما ما سمع عنها حديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو حكم خاص فييدي رأيه وفق ما لديه والآخر ممن عرف هذا الحكم الخاص تكون فتواه مخالفة لذلك الصحابي. ومن أكثر الصحابة رضوان الله عليهم حفظاً للحديث هو أبو هريرة وليس أكثرهم ولكنه الأكثر بالنسبة للفترة القصيرة التي عاشها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أسلم في عام 7هـ أي لازمه 4 سنوات واسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسي، ويروي مسلم في صحيحه:

[إن الناس يقولون إن أبا هريرة رضي الله عنه يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لو أني كنت مسكيناً أجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على مائ بطني أكتفي بلقيمات يقمن صليبي وكان المهاجرون يشغلهم السبق في الأسواق فكنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يرويه وقد بسط رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فحدثني ثم حدثني ثم قال لي ضمه إليك فضمته إلي، فوعيت بعد ذلك كل ما رويته عنه عليه الصلاة والسلام.

وأبو هريرة رضي الله عنه القائل: والله لا أريد أن أبني داراً أو أسسها بل يكفيني من الدنيا لقيمات أقل بهم صلي.

● المستشرقون المرتزقة **دأبوا** التشكيك بالعميدة وبالمصدر الثاني للتشريع ووجدوا أن أسها الطرق هي التشكيك بأبي هريرة رضي الله عنه فينشرون الريبة في 5600 حديث تقريباً رواها أبو هريرة (م أمثال غود زيف - شافت /الماي/ - كريمر .. إلخ)، فقالوا: هل يستطيع عقل بشري أن يستوعب كل ذلك؟

● الذي أجمع عليه الشيخان (مسلم أو البخاري والمتفق) لا يزيد عن 567 وما رواه أصحاب السنن والمسائيد لا يزيد عن 6000 وفيها الضعيف والموضوع وهذا متفق عليه.

● هل في دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام لأبي هريرة رضي الله عنه بالحفظ غرابة؟ وسمع ما يرويه البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنت أنا وفلان وأبي هريرة جالسين نذكر الله وندعوه فخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس معنا فكتبنا فقال: عليه الصلاة والسلام [عودوا لما كنتم عليه فأخذت أدعوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائي ثم دعا صاحبي وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعاؤه ثم دعا أبو هريرة فقال: اللهم إن أسألك أن ترزقني ما سألك صاحبي وأسألك علم لا ينسى فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: [اللهم آمين] فقال زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله لنا أيضاً أن يرزقنا علماً لا ينسى فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم [سبقكما إلى ذلك الغلام الدوسي] .

● قسم الـ 5000 على 4 سنوات تجد 4-5 في اليوم هل هذا عجيب وقصة مروان بن الحكم دليل على قوة حفظه.

● وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام من أصحابه وخاصة سيدنا عمر رضي الله عنه يحتاطون جداً من رواية الحديث وكان ينهاه الصحابة وينبهه إلى خطورة الرواية هكذا جذافاً وكان يجب أن يعلموا القرآن وكذلك ينصح كل من أرسله إلى البلاد أميراً أن يكثر من القرآن ولا يكثر من رواية الأحاديث المختلفة، وكذلك كان يقول لأبي هريرة رضي الله عنه فهل هذا يجعله موضع تهمة وشبهة؟! سأل سيدنا عمر سيدنا أبو هريرة رضي الله عنهما قائلاً أتذكر ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في موقف كذا وكذا قال نعم إنه قال: [من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار] قال: إن كنت قد حفظت هذا فاروي ما شئت.

● إن الستة آلاف حديث هل رواها أبو هريرة رضي الله عنه لوحده وتفرد بها طبعاً لا بل كان لأكثر الأحاديث طريق آخر فالحديث السابق مثلاً متواتر رواه جماعة عن جماعة من الصحابة، وحديث انشقاق القمر رواه أبو هريرة وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعبد الله بن العاص وثلة من الصحابة رضي الله عنهم، إذ يجب أن نعد الأحاديث التي رواها أو تفرد بها لوحده، نقول الكلام السابق لا يمكن أن يخرج إلا من قلب حاقده على الدين وجاحده لنعم الله.

● نعود إلى ما سبق: قلنا إن أهم أسباب الاختلاف أن بعض الصحابة سمعوا أحاديث أكثر من غيرهم وبالتالي كان الاختلاف في فتاوى الصحابة.

أمثلة: هذه القصة من الصحيح: استقدم سيدنا عمر أبو موسى الأشعري رضي الله عنهما فجاء فاستأذن ثلاثاً فلم يؤذن له فعاد فطلبه عمر (أمير المؤمنين) رضي الله عنه فأوتي به فقال طلبتك فلم تأتني فقال له جئتك فحدث

ما حدث فقد روين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المرء إذا جاء فليستذن ثلاثاً يقول السلام عليكم أَدْخَلَ ثلاثاً فإن أذن له دخل وإلا عاد فقال عمر رضي الله عنه لأجلدن ظهرك أو لتأتيني بشاهد على ما قلت.

إذاً سيدنا عمر رضي الله عنه لم يسمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **ودعا** أبو موسى رضي الله عنه ذهب فجاء بمن قد سمع الحديث معه وعندها صدق عمر رضي الله عنه كلامه فقال له إني لم أكذبك ولكن هو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أحببت الحيلة فيه.

سبب آخر: أحد الصحابة سمع حديثاً فنسيه وآخر سمعه وحفظه فتعرض عليهم مسألة (**وهم** في جهتين مختلفتين) فيختلفان حتماً وسبب النسيان ما ذكرناه سابقاً وهو: أن العاملون معرضون للنسيان أكثر لأن الأعمال المرهقة وقلة الوقت والتفكير في عدة أمور تكون سبباً أساسياً في ذلك **نن** مثلاً الخلفاء الراشدون وحجم المسؤوليات التي تترتب عليهم من ذلك سيدنا عمر رضي الله عنه من الطبيعي أن يكون أقل حفظاً من غيره م الصحابة ممن تفرغوا لحفظ الحديث وهو معذور في ذلك فقد أخذت الخلافة ومسئولياتها وقته الأكبر وطوقت عنقه ونعلم كم اتسعت رقعت الدولة الإسلامية في عصره فهو معذور جداً إن لم يستوعب أحاديث كان قد رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء حياته.

مثال ذلك: رجلاً سأل سيدنا عمر رضي الله عنه فقال أجنت ولم أجد ماء فماذا أصنع قال له لا تصلي وكان معه في المجلس عمار بن ياسر رضي الله عنه فقال له يا أمير المؤمنين أتذكر يوم بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية يوم كذا وكذا وأجنبنا أما أنت فلم تصلي وأما أنا **ففتمصكت** في التراب (ظناً منه أن التيمم للجنب هكذا يكون بمثابة الغسل **ففيصمك** الجسد كله).

فلما عدنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وروينا له ذلك قال أما إنه كان يكفيك أن تضرب يدك هكذا ضربتین تمسح بأولهما وجهك وبالأخرى يديك.
فتذكر عمر رضي الله عنه ذلك فرجع عن فتواه إلى ما قاله عمار بن ياسر رضي الله عنه ولا نقول إن هذا دليلاً على أنه لا ينبغي أن نروي الحديث عن سيدنا عمر رضي الله عنه لأنه لم يحفظه.

مثال آخر: سأل سيدنا عمر عن دية قطع الإصبع فسيدنا عمر رضي الله عنه لم يسمع عن هذا شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأراد أن يجتهد في الأمر وأراد أن يجعل دية الإصبع على حسب الفائدة منه لا بالتساوي، لكنه تريت ونادى بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم **هل** من صحابي سمع بهذا الصدد شيئاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أحد الصحابة يقال له **أشبح العنباي** وقال: روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه في كل إصبع خمسة من الإبل متساوية، فرجع عمر رضي الله عنه عما قال وقال (إن كدنا أن نفتي في هذا برأينا).

سبب آخر: أن رجلاً من الصحابة يصدق رواية حديث رجلاً من الصحابة، وآخر من الصحابة لا يصدق هذه الرواية كيف؟

● ذلك بأن يشك أنه لم يرويه على حقيقته أو شك في حفظه والآخر لا يشك في حفظه فهذا يأخذ منه والآخر لا، إذاً يشك في الحفظ لا في العدالة.

مثال: سمعت فاطمة بنت قيس وهي صحابية رضي الله عنها أن سيدنا عمر رضي الله عنه قد أفتى أن للمطلقة ثلاثاً السكن (على الزوج النفقة والسكن حتى تنتهي العدة) متمسكاً بقوله تعالى { أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم } فجاءت تقول له يا أمير المؤمنين طلقني زوجي البته طلاقاً بائناً ولم يجعل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة ولا سكناً فلم يأخذ بقولها وقال:

لا ندع كتاب الله لقول امرأة لا ندري أحفظت أم نسيت، قال ربما لم تفهم الأمر
على حقيقته فلم يأخذ الحديث منها، لكن كثير من الصحابة أخذوا بحيث
فاطمة عليها السلام.